عبدالمحسن سلامة

شيخ يحاضر فى الموسيقى ويرشح لنوبل

8 أكتوبر 2021

محسن عبدالعزيز

إنه الشيخ طنطاوى الجوهرى الذى ولد عام 1862 ومات عام 1940وكان يعتبر مثالا فريدا لرجل الدين العالم الذى يفهم سر الكون ويدرك حقيقة الموجودات وعلاقتها بالانسان، تلك العلاقة الموسيقية التى تبدو لمن يدركها سيمفونية إلهية من صنع خالق البشر.

كان الشيخ طنطاوى الأزهرى يجمع بجانب العلوم الدينية كالفقه والتفسير علوما أخرى كالطبيعة والفلك والنبات والجغرافيا. ولذلك كانت نظرته إلى الكون نظرة عالم يرى الكون كله وحدة واحدة لكل شيء فيه قانونه ودوره فى الحياة.

بلغت مؤلفات الشيخ طنطاوى أكثر من ثلاثين كتابا أهمها تفسير القرآن المسمى بالجواهر.

وقد رشحه الدكتور مصطفى مشرفة عميد كلية العلوم فى ذلك الوقت لجائزة نوبل للسلام. فالرجل كان يرى وحدة الوجود وضرورة السلام بين جميع البشر والأديان وأصدر كتابين هما «الأحلام فى السياسة» و«أين الانسان» كان يدعو خلالهما إلى السلام العالمى ونبذ الحروب بين الأمم. وكان هذان الكتابان سبب ترشيحه لجائزة نوبل للسلام رغم انه أزهري.

وكان الزعيم مصطفى كامل طلب مقابلة الشيخ طنطاوى وقال له: بمثلك ترتقى الأمة وأطلق عليه لقب «حكيم» ولم تتوقف علوم الشيخ طنطاوى عند العلوم الدينية والعلمية فقط لكنه كان عالما بالموسيقى أيضا، وألقى ثلاث محاضرات عن الموسيقى فى جامعة القاهرة سنة1914، كما يذكر الدكتور فتحى صالح فى مجلة الهلال.

وخلال هذه المحاضرات كان الشيخ طنطاوى العالم المستنير يكشف العلاقة بين قواعد الموسيقى وقواعد المنظومة الكونية بما فيها من إنسان وحيوان ونبات.

فالله كما يقول الشيخ طنطاوى جمع وفرق ونظم المؤلفات فى نسق، فتنطلق الطيور بنغمات منتظمة وألحان مبدعة، وحروف وأصوات بنسب دقيقة. وقلد الانسان غناء الطيور فكتب الأشعار واستمع إلى موسيقى الماء المنهمر على أمر قد قدر وكل أمر مستقر.

كما تحدث عن النغمات وأصواتها والايقاع وزمان الصوت.

وقال ان علم الموسيقى عند فلاسفة الاسلام هو معرفة النسب وكيفية التأليف اللتان يكون بها الحذق فى الغناء.

ومن عظمة الموسيقى أن أى حرفة تحس بها الأجساد، أما الموسيقى فخاصة بالروح، وهناك نغمات وأصوات تحمل النفوس إلى العمل الجاد، وألحان تحمل على الشجاعة فى الحروب يستخدمها القادة فى المعارك الحربية.

وهناك الألحان الحزينة التى ترق لها القلوب، وتبكى العيون وتكسب النفوس الألم، وهناك ألحان تستخدم للعلاج فى المستشفيات ليخفف الآلام والأسقام عن المريض، وهناك ألحان يستخدمها البناؤون والحمالون ونوتيو الزوارق وأصحاب المراكب لتعينهم على صعوبة أعمالهم.

وألحان للفرح واللذة والسرور والأعراس.

وتستخدم الألحان للحيوانات كالحداء للجمال، والصفير للغنم والبقر والخيل عند ورودها الماء، وتستعمل النساء ألحانا للأطفال لتسكين البكاء وجلب النوم.

والموسيقى فن موجود عند جميع الأمم بما فيها الحيوانات والطيور، والنغمات لها أرواح تتحد ببعضها وتمتزج وتصبح لحنا وغناء.

فالنغمات والألحان بمنزلة الأرواح فى الأجساد.

وحركات الموسيقى تشبه حركات الكواكب والأفلاك المتصلات المنفصلات بنسب دقيقة جدا.

ويقول: إن النطفة إذا سلمت فى الرحم خرج الجسم صحيح البدن، كل شيء فيه كامل جميل مثل اللحن الموسيقي.

ونسب الموسيقى موجودة فى جسم الانسان وموجودة بالأفلاك وفى كل شيء حولنا. فالموسيقى

تحرك النفس نحو الحلم والجود والشجاعة والكرم والحب والرأفة بعيدا عن الشهوات التى تسيطر عليها أحيانا.

كان الشيخ طنطاوى الجوهرى عالما موسوعيا عندما قرأ له الإمام محمد عبده كتاب جواهر العلوم أثنى عليه وطلب منه أن يكون غزير الانتاج، فالأمة فى حاجة إلى مثل هذه الكتب التى تحرك العقل والفكر والوجدان. الغريب أن الأمة التى أنجبت الامام محمد عبده والشيخ طنطاوى الجوهرى هى نفسها التى انجبت الدواعش والقتلة!. والسبب إننا عندما بعدنا عن دراسة الموسيقى والفلسفة والأدب والفن.. كانت النتيجة هذا الانسان المتوحش الداعشى الذى يقتل بلا سبب موهما نفسه أنه يفعل ذلك من أجل رضا الله.

لكن السؤال الآن بعد كل هذه السنوات لماذا لا يقوم الأزهر بتدريس الموسيقى والفلسفة والفن؟ ليصبح طلابه علماء بحق لا مجرد حفاظ وفقط.